تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

مع الفقيد الشهيد فى العراق :

لا تعتب على أخيك أن تأخر فى تقديم خالص شكره وشكر الشباب العراق المثقف إليك على ذلك الموقف النبيل الشريف الذى وقفته من محنته على صفحات الرسالة ، فلست ذلك الإنسان الذى سرعان ما ينسى الجميل ويتنكر لمعانى الوفاء ؛ ولكن ثق أننى كنت فى المستشفى أقاسى وخز الإبر وعذاب الداء . . ولقد جاءت الرسالة وقرأ الناس تعقيبك الأول وكلمتك الثانية ، فأعجبوا بهما شأن كل ما تكتب ، ثم نقلت الصحف العراقية كلمتك الموجهة إلى وزير المعارف معلقة ومثنية . . وكان الثناء عاطراً عليك وعلى مصر ، حتى لقد دفع بعض أصحاب النفوس المريضة إلى أن يفرغوا ما رسب فى نفوسهم من أحقاد !

أما عن موقف وزارة المعارف العراقية فقد بقيت كعهدها الأول . . صماء بكماء ، ويظهر أنها تريد محاربة الأدباء لأنهم تشى انتشار الثقافة فى العراق ! ماذا أقول لك ؟ لقد قلت كل شىء فى هذه القصيدة التى تقص عليك أحزان النفس وأشجان الحياة . ألا توافقنى بعد هذا كله على أنها يجب أن تكون « اللحن الأخير » ؟ صدقنى إنها تسمية صادقة ، لأن الزورق المجهد يوشك أن يرسو على شواطىء الفناء ! !

« بغداد — العراق » عبد القادر رشيد الناصرى

الشىء الذى كنت أنتظره وينتظره معى الناس ، هو أن يتفضل معالى الأستاذ خليل كنه فيثبت لنا أنه إنسان — كنا ننتظر منه هذا المعنى الكبير ، ولكنه أبى إلا أن يثبت لنا أنه وزير ! ومن دلائل هذا الإثبات أن معالى الأستاذ قد أغمض عينيه فلم ينظر ، وأعلق أذنيه فلم يسمع ، وأطبق شفتيه فلم ينطق بكلمة واحدة تنقذ الفن الشهيد وتنصف الحق المهضوم ! !

إن القلم يتعثر فى يدى وأنا أسجل هذه الحقيقة . هذه الحقيقة المرة التى تهمس فى أذن التاريخ قائلة له : إن وزير المعارف قد آثر أن يكون من أصحاب المعالى على أن يكون من أصحاب الإنسانية ، وفضل جاه المنصب وهو تقليد على فعل الخير وهو تخليد ، وزهد كل الزهد فى أن تخصه الأقلام بشىء مما تخص به الناس من الذكر الجميل !

ألا يوافقنى معالى الأستاذ خليل كنه على أن لأصحاب المواهب حقوقا على الدولة يجب أن تذكر فلا تهدر ، وأن نصان فلا تهان ، وأن يضرب بها المثل على سلامة الوعى ونزاهة القصد وعدالة التقدير ؟ لا أشك لحظة فى أنه سيوافقنى بقلبه وسيؤيدنى بلسانه . . والدليل ؟ الدليل هو أن العراق قد ضرب يوماً هذا المثل ، حين مد يده إلى مقعد من مقاعد الصحافة لينقل منه رجلا إلى مقاعد الوزراء . . هذا الرجل هو معالى الأستاذ خليل

وغدى مثل أمس مر كئيباً لا رجاء فيه ولا تأميـــل
يا لمستقبلى الرهيب أيبقى ناعياً فى ركابه عزريل ؟ !

. . .

أين منى « عناية » القدر الساخر بل أين « طيفها » المجهول ؟ !
أو لم أذبح الرقاد للقيا ها ، وقلبى بحبها مشغول ؟
عاصرا مقلتى فى قدح السهد ، سلافا والليل وحف ظليل
أتراها كالآل تلمحه العين ولكن ما إن إليه وصول ؟
تعست حقبة حرمت بها الصفو ، ولحظ « الهناء » عنى كليل
أن عمراً بالدمع والشجن الوار ، يقضى لذاك عمر فضول
كيف أرجو من السقام نجاة أو يرجو شفاءه المسلول ؟ !

. . .

إيه أشباح جنة الخلد هيا فلقد ضاق بالحياة المليل
أقبلى كالطيوف من عالم النور ، ورفى كالزهر وهو بليـــل
بالتهاليل طوفى حول نعشى فلقد شـــاق سمعى التهليل
ثم زفى للقبر عرس شبابى وتغنى فذاك عرس جميـل
واسرجى لى الشموع واحدى بركبى
فالسرى متعب ، ودربى طـويل ! !

. . .

« بغداد » عبد القادر رشيد الناصرى

كنه ! ! ما باله إذن وقد ظفر بكل ماله على الدولة من حقوق ، ينسى أن هناك أناساً لهم بعض الحق وهو فى يديه، ثم لا يمنحهم شيئاً من هذا الحق وهو قادر عليه ؟! سؤال حائر ، وسيظل حائراً ما شاء له وزير المعارف أن يحار .. أما الجواب ، فسيوافقنى عليه معالى الأستاذ خليل كنه بقلبه إن لم يؤيدنى بلسانه .. وآه من حيرة الجواب بين القلب واللسان ! !

ويقول لى الأستاذ الناصرى إن صحف العراق قد نقلت كلمتى عن « الرسالة » معلقة ومثنية .. أنا شاكر للصحافة العراقية عطفها على الشاعر وثناءها على الكاتب ، وأدعو الله من قلبى ألا ينتقل أحد رجالها بعد الآن من مقعد التحرير إلى مقعد الوزير ، حتى تظل جذوة الإنسانية متوهجة منه فى شعاب القلب متوقدة على شباة القلم ، يصطلى دفء هواها كل من أضناه برد الأمنى ونجوم الأيام ! !

أما أنت يا عبد القادر فدعك من هذا اليأس الذى لا يطيقه الشباب ولا تحتمله الحياة .. إن الشباب ومضة شعاعة بالعزم وضاءة بالتضحية ، وإن الحياة زهرة ندية بالصبر فواحة بالأمل ، فلماذا تريد للومضة الساطعة أن تخمد ، وللزهرة اليانعة أن تذبل ، وللأمل الخالد أن يذهب أدراج الرياح ؟ إن الحياة يا صديقى ليست هى اليوم المشهود ولكنها الغد المرتقب ... الغد الذى قد يزف الربيع إلى جفاف الغصون ، ويطلق الأحرار من زرايا السجون ، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجن !

وتسألنى إن كنت أوافقك على تسمية هذه القصيدة التى بين يدى باللحن الأخير ؟ إننى أوافقك على أنها يجب أن تكون كذلك ... أن تكون آخر لحن يضج بالشكوى ويشرق بالدموع ! ولهذا سأصفح عن هذه القصيدة الباكية التى لا تتفق مع أحلام الشباب وأمانيه ، على أن تكون قصائدك المقبلة كلها باسمة كالأمل مشرقة كالفجر ، حافلة بخفقات القلب المتفتح لنداء الحياة !

إن الابتسامة الصادقة هى السلاح القاطع فى كل معركة وكل صراع ، وإن ما ينقصنا نحن الشرقيين هو أن نتعلم كيف نبتسم ... نبتسم للخصم كما نبتسم للصديق ، نبتسم للمرض كما نبتسم للعافية ، نبتسم للنصر كما نبتسم للهزيمة . وعلى مدار قدرتنا على تلوين الابتسامة هنا وتلوينها هناك ، نستطيع أن نلمح الغاية ونرسم الطريق ونحدد المصير !

ولا تحسب بعد هذا كله أنك تقف وحيداً بلا نصراء ... إن بين يدى كثيراً من الرسائل من مختلف أقطار العروبة ، يؤازرك أصحابها بكل ما يملكون من عواطف الأخوة ومشاعر الوفاء : وأنصفح أنا هذه الرسائل لأتخير منها واحدة عرف صاحبها كيف يخاطب القلوب المغلقة فى العراق !

رجع الصدى من السودان :

قرأت تلك الصرخة التى أرسلها الشاعر العراقى المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى على صفحات « الرسالة » وقرأت ما كتبته أنت بقلمك السيال إلى وزير معارف العراق ، راجياً منه أن يتدارك صرخة الفن الشهيد بعطفه ورعايته . . فإلى وزير المعارف العراقى أرفع هذه القصة :

جاء بمجلة كردفان التى تصدر بعاصمتها « الأبيض » الخبر الآتى تحت عنوان : « عطف ملكى » ... (وصل إلى علم جلالة الملك فاروق إبان وجوده بفرنسا ، أن الطالب السودانى أحمد مدثر وقد ذهب إلى فرنسا لتلقى العلم ، قد أرغمته سوء حالته المالية على أن يعمل « حمالا » فى وقت فراغه ، ومع ذلك فقد نال دبلوم العلوم السياسية . . ولولا سوء حالته المالية لسافر إلى سويسرا للحصول على الدكتوراه ! وقد تعطف صاحب الجلالة الملك فاروق بعد علمه فمنحه خمسين ألف فرنك ، مع إيفاده إلى سويسرا على نفقته الخاصة)

قرأت هذا على ما أسلفت ، وأحببت أن أقارن بين الطالبين .. ولكن القلم القاصر والبيان العاجز ، لا يتيحان لى أن أصب مشاعر النفس فيما يلائمها من كلمات . . . وما دمت قد وهبت قلمك للدفاع عن قضايا الأدب وحقوق الأدباء ، فليس لى إلا أن أهدى هذه القصة الخالدة إلى وزير المعارف العراقى ليسمع ، وإلى كاتب التعقيبات المصرى ليعقب

« أم روابه ـ سودان » محمد الحسن سماع الدين

هذه المأثرة الناضرة التى يقص علينا نبأها الأديب السودانى

الفاضل ، أشارت إليها الصحف المصرية وكانت حديث الناس فى كل مكان ، وأشادت بها الصحف الفرنسية وكانت محل التقدير البالغ على كل لسان .. وليست هى بالأثرة الأولى لجلالة الملك فاروق ، فما أكثر المآثر والمفاخر التى تحتلى بها حياة هذا الإنسان العظيم ! وقد يقول بعض الذين لا يدركون حقيقة القلب الإنسانى كما فطره الله ، إن الملك فاروق قد مد يد العون إلى هذا الطالب لأنه واحد من رعاياه . . إن القلوب الكبيرة فى شعورها المرهف لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لغة ولغة ، ولا بين دين ودين ، ذلك لأنها طبعت على حب الخير ، وفطرت على صنع المعروف ، وجبلت على إسداء الجميل ! وأستطيع أن أقسم لمن يقفز إلى أخلادهم مثل هذا الخاطر العجيب . أن عبد القادر الناصرى « العراقى » لو قدر له أن يكون فى باريس إبان وجود صاحب الجلالة « المصرية » ، لما بكى شبابه الدامى على صفحات الرسالة !!

إننى أشكر لحضرات المتفضلين برسائلهم كريم عواطفهم ، وأقتصر على هذه الرسالة لأنها خير لفتة يمكن أن تقدم لوزير المعارف العراق فى مثل هذا المجال . . وأكتفى بهذا التعقيب لأننى قلت اليوم وبالأمس كل ما يمكن أن يقال !

كلمات فى نقد الشعر :

يشجعنى على مواصلة الكتابة إليكم ومعاودة الكلام فى شعر العطار وأباظة ، أنى وجدتكم تلتمسون فى الشعر الذى تحبونه وتؤثرونه ، تلك الإلتماعات الخواطف للبصر ، الخوالب للفكر ، التى تلقيها عليه مخيلة أعطيت القدرة على التحليق المتمادى والانطلاق الحر ، فى عوالم انقطعت دونها أخيلة الكثرة من الأدعياء ، عوالم زخرت بطرائف الرؤى وخوارق الصور .

بل يشوقنى إلى هذا الكلام أنى أجدكم تتحرون فى هذا الشعر ، بل فى الأثر الأدبى دون تحديد ، حلاوة ذلك الشعور الناعم بدفء الحياة ، الدفء الذى تطلقه فيه روح متصلة السر بسر الحياة الأكبر . فهى تستمد عناصر قوتها وعناصر وجودها من تلك الصلة الخالدة التى تشرف بها على أقصى أعماق الطبيعة الإنسانية ، وتفضى بها إلى أخفى الحقائق فى محيط هذا الكون الحافل الزاخر اللا محدود . وأنكم كذلك ترهفون السمع فى العمل الفنى إلى صدى ذلك الرنين ، بل إلى الرنين نفسه ، الذى أودعته فيه ملكة فذة من تلك الملكات التى ترصد لكل معنى يخطر ولكل كلمة ترسل نغما خالداً لا يجوز عليه الفناء ، لأنه مما توقع عليه تجارب الحياة فى مجال الشعور الصادق ، ومما توحى نتائج تلك التجارب فى نطاق الذهن المتفوق !

كل ذلك يحملنى على الكلام ويغرينى به ، لأنه يجعلنى أشعر بالطمأنينة إلى أنكم تنظرون إلى الحقائق الفنية الثابتة ، من نفس الزاوية التى أحاول أن أنظر منها إليها ، وأنكم تضعون للأعمال الأدبية الميزان الذى لست أو من بغيره لأجل ، وهأنذا الآن أقرأ لكم هذا التعقيب البارع على كلمتى السابقة ، أو هذا المقال الفصل ، على إيجازه ، فى شاعرية العطار ، مرتكزاً فيه الحكم على انتاجه العام . فأجدنى راضياً كل الرضا عما أقرأ ، مقتنعاً كل الاقتناع بأن ما رأيتموه فى شعر الشاعر يتفق فى جملته وهذا الذى أراه .

هو فى جملته شعر يعوزه عنصر الحياة الذى يذكى خواطر القارىء ، ويلهب وجدانه ، ويهز أوتار قلبه وكيانه . . وإن كان لا يخلو من اللفتات الشعرية المحلقة فى بعض الأحيان ! وهو شعر تنقصه أصالة الرؤية الشعرية ، وطبيعة الحركة النفسية ، برغم أن قائله من أحلى الشعراء جرساً كما تقولون .. أو هو بعبارتى الخاصة ، شعر يفتقر إلى ذلك الإشراق الذى يشف عن الآفاق الفنية المترامية التى يتداعى إليها الخيال المبدع ، وذلك الدفء الحبيب الذى يمسك على الأثر الشعرى حيائه وأنفاسه ويصون نضرته ورواءه ، وهو يفتقر أخيراً إلى تلك الموسيقى النفسية التى تحدثتم عنها فى نقد الشعر

على أنى أخشى يا سيدى الأستاذ ألا نكون قد اتفقنا بعد على وضع الشاعرين ، أباظة والعطار ، فى طبقة واحدة . فشعر أباظة على الأكثر شعر موفور : تحوطه هالة من الألوان التى تهيىء للذهن ذلك الجو الخالص حيث تسبح المعانى وتترقص الأخيلة ؛ وتترقرق فى أعماقه موجة الحياة حارة صادقة ، الحياة التى تدنو به من نفسك ، بل تلصقه إلى نفسك ، ويطغى كل ذلك على مشاعرك ويمتد سحره إلى قلبك ، حيث جذور الحياة الإنسانية ، ليهزها من أصولها هزا ، ويثمرها ثمراً ! وأباظة فنان يقدم لنا فى إطار

من أجل الشعر وأطرفه مشاهد فنية هي في الأغلب الأعم ملء النظر وملء الحس وملء الفكر ، لأنه إذ يقول هذا الشعر إنما يستجيب لحركة نفسه، ويترجم عن خوالج وجدانه ، ويلمس ريشته بنور قلبه .

وأخيرا أنا أعاود الكلام يا سيدي لأؤكد لكم مخلصا أنه لا هوى يقود رأي حامل هذا القلم إلا هوى الفن الذي يتوخى في آثار الفنانين لمحات الأصالة الذهنية ، ودلالات الصدق الشعوري وبعد .. فأختم هذه الكلمة محييا فيكم شخص الأديب والناقد ، شاكرا للظروف هذه الفرصة الكريمة التي أتاحت لي لقاءكم في هذا الجو الحبيب الذي تتراوح فيه أنسام الشعر الجميل وأنغام الوداد الخالص وإلى لقاء قريب إن شاء الله ، في محراب قصتكم الخالدة « من الأعماق » ... والسلام عليكم من المخلص .

دمشق - سورية محمد الأرناؤوط

أتعرف ملكة « المزاج الفني » ؟ .. إذا استطعت أن تتخيل القصيدة الشعرية بأدائها النفسي جسما من الأجسام ، وإذا استطعت أن تفترض كل ملكة من الملكات الشعرية عضوا عاملا في حركة هذا الجسم ، وإذا استطعت أن تتمثل الحيز الذي يشغله هذا الجسم من الوجدان المتذوق مكونا من تلك المجموعة من الأعضاء ؛ إذا استطعت أن تتخيل وأن تفترض وأن تتمثل هذا كله ، فإن ملكة « المزاج الفني » هي الثوب الذي يلتف حول هذا الجسم بمجموعة أعضائه ليبرز تقاطيعه للعيون ويكشف عن مفاتنه ! إنه أشبه بالثوب الذي ترتديه أي حسناء . قد يكون جسمها نموذجا خاصا لجمال كل عضو من أعضائه على حدة ، وقد يكون جسمها نموذجا عاما لتناسق تلك الأعضاء مجتمعة ، ولكن الثوب هو الحكم الأخير الفاصل بين أجساد الحسان ، لأنه هو وحده الذي يطلعنا على مدى التفاوت الجمالي بين جسد وجسد ! هناك ثوب يوحي إليك أن صانعه غير « فنان » ، لأنه لم يراع النسب الفنية بينه وبين جسم صاحبته : من ناحية الطول والقصر ، ومن ناحية الضيق والسعة ، ومن ناحية الكماليات التي تلتمس مظاهر الزينة وتوائم بين لون الثوب ولون البشرة مثل هذا الثوب لا شك أنه يظلم الجسد الجميل لأنه يقدمه للعيون على غير حقيقته ؛ على تلك الحقيقة الأخرى التي اقتضاها ذوق صانع غير فنان . ماذا ينقص هذا الصانع من « ملكات الفن » ليصنع « ملكات الجمال » ؟ ننقصه ملكة « المزاج الفني » ، ملكة تفصيل « الأثواب الكاشفة » عن مفاتن الأجساد !

المزاج الفني إذن هو المسئول ، بل هو واضع الحدود والفروق بين طابع كاتب وكاتب وبين طابع شاعر وشاعر .. خذ مثلا طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم — ككتاب في مجال القصة وحدها لا في مجال آخر — فستجد أن طه في « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » يمثل الطابع الأدبي فهو قصاص أديب ، وستجد أن العقاد في « سارة » يمثل الطابع الفكري فهو قصاص مفكر . وستجد أن توفيق في عدد من قصصه يمثل الطابع الفني فهو قصاص فنان ... وخذ العقاد مرة أخرى وعزيز أباظة وعلي طه — كشعراء — فستجد أن الأول يمثل المزاج الفكري فهو شاعر مفكر ، وأن الثاني يمثل المزاج الأدبي فهو شاعر أديب ، وأن الثالث يمثل المزاج الفني فهو شاعر فنان ... هذا التقسيم واضح كل الوضوح في الأدب المصري الحديث كما هو واضح كل الوضوح في الأدب الفرنسي الحديث : أندريه جيد وفرانسوا مورياك كلاهما نموذج لهذا القصاص الأديب ، وجان بول سارتر وبول كاودل كلاهما نموذج لهذا القصاص المفكر ، وجان كوكتو وجان إنوي كلاهما نموذج لهذا القصاص الفنان !

إن الشعر دفقة وانتفاضة .. دفقة يتلقاها الشعراء جميعا ، ولكن فيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن وحده ، وفيهم من من يتلقاها بانتفاضة الحس وحده ، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن والحس والشعور في وقت واحد . ونفرق نحن بين هذه الألوان من الانتفاضات في محاولة فنية نهدف من ورائها إلى استشفاف « الحقيقة الشعرية » من خلال أثوابها الكاشفة ، وننتهي إلى أن حقيقة الشاعر الأول صاحب الانتفاضة الأولى هي « وجهة نظر » فكرية ، وهذا هو العقاد . وإلى أن حقيقة الشاعر الثاني صاحب الانتفاضة الثانية هي « وجهة نظر » أدبية ، وهذا هو عزيز أباظة . وإلى أن حقيقة الشاعر الثالث صاحب الانتفاضة الثالثة هي « وجهة نظر » فنية ، وهذا هو علي طه ... وهكذا نجد مزاج الشاعر المفكر ، ومزاج الشاعر الأديب ، ومزاج الشاعر الفنان !!

هذا هو رأيي الأخير الذي أقدمه للأديب السوري الفاضل